مجلة أكاديمية الجبل للعلوم الاجتماعية والإنسانية

Al-Jabal Academy Journal of Social and Humanities

04(01): 38-59, 2025

eISSN: 2958-5554; pISSN:29585546

Journal Homepage https://lajak.edu.ly/journals/index.php/aajpas

المقاصد القرآنية للقصص القرآني عند عبد الرحمن السعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن

د. لقمان عمران صالح

قسم التفسير، كلية القرآن الكريم

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي – البيضاء

موسى مفتاح سليمان محمد

قسم الفلسفة والدراسات الإسلامية

الأكاديمية الليبية للدراسات العليا بالجبل الأخضر

https://doi.org/10.58309/mf9mwd93

المستخلص:

للقصص القرآني غايات وأهداف اختلفت باختلاف الأزمنة واستنباطات العلماء، فهي للعبرة وتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اشتغل العلماء قديمًا وحديثًا لاستنباط الأحكام والعبر والمقاصد منها، ولكن المقاصد القرآنية لها لم تلق اهتمامًا واسعًا، وممن اهتم بالمقاصد القرآنية للقصص القرآني الشيخ السعدي، وهو محور دراستنا هذه، التي تناولنا فيها، اسم الشيخ ومكانته، وأشهر مؤلفاته، ثم بينا المقاصد القرآنية ومفهومها، وأنواعها، وما احتوت عليه من مقاصد بينها السعدي في تفسير، والتي منها أن القصص القرآني ليس مجرد سرد تاريخي، بل لها فوائد تربوية وروحية، تسهم في سعادة المؤمن في الدارين، ومنها بناء شخصية المؤمن المتوكل على الله حق التوكل، إلى غير ذلك من النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: المقاصد القرآنية– القصص القرآني – عبد الرحمن السعدي – الأنبياء

Abstract

The Qurʾān provides narratives for multiple purposes, which have been understood differently in time and among schools of scholarly traditions. These stories impart moral teachings, hearten the Prophet Muhammad (peace be upon him), and have engaged scholars into deriving legal, ethical, and spiritual insights throughout the ages. Though it has attracted a significant scholarly interest, the specific maqāṣid of Qur'ānic stories have not received substantial scholarly treatment. This study discusses the Quranic narrative exegetical contributions of Sheikh ʿAbd al-Raḥmān al-Saʿdī, among a few scholars who explicitly addressed the Qur'anic objectives of these narratives. The research first outlines the scholarly profile and main works of al-Saʿdī, then discusses the concept of maqāṣid in relation to the Qurʾān; definitions, classifications, and applications. Through evaluation of al-Saʿdī's Works of Tafʿsīr, it illustrates his stance that Qurʾānic stories are more than historical records, they are rich in educational and spiritual implications. Al-Saʿdī asserts that these stories exist to foster a believer's ethical character—namely, trust in God—and offer directions for well-being in this life and the next. This study will conclude with a synthesis of major objectives considered by al-Saʿdī's interpretations.

Keywords: Maqāṣid al-Qurʾān, Qur'ānic narratives, ʿAbd al-Raḥmān al-Saʿdī, Prophets.

مقدمة

{تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا}

أما بعد:

فإن القصص القرآني يمثل أحد الأساليب البليغة التي خاطب الله بها عباده لما تحويه من توجيهات وعبر ومواعظ، ومن بين العلماء الذين وقفوا وقفات عظيمة مع القصص القرآني وبينوا مقاصدها الشيخ السعدي في كتابه: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وقد جاء هذا المبحث في رسالتنا بعنوان: مقاصد القصص القرآني عند السعدي؛ وهو محاولة لرصد أهم المقاصد والعبر التي استنبطها السعدي من القصص القرآني مما يبرز جانبا مهما من جوانب التربية القرآنية من خلال مقاصد احتوت عليها هذه القصص

أسباب اختيار الموضوع:

1- الحاجة الملحة لفهم مقاصد القصص القرآني فهما صحيحا يبنى عليه العمل والاقتداء

2- إبراز جهود السعدي في تفسيره واهتمامه بالجانب المقاصدي

3- قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت مقاصد القصص القرآني عند السعدي على وجه الخصوص

أهمية البحث:

1- تكمن أهمية البحث في أهمية الرجوع إلى التفسير نفسه؛ باعتباره تفسيرا ميسرا يجمع بين السهولة والعمق

2- وتسليط الضوء على مقاصد وعبر كل قصة من القصص القرآني كما فصله السعدي بأعذب عبارة وأيسر أسلوب

مشكلة الدراسة والتساؤلات:

عدم اهتمام كثير من البحاث بالمقاصد القرآنية عند عبد الرحمن السعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن

تساؤلا ت البحث:

ما المقاصد القرآنية التي بينها السعدي في تفسيره؟

ما المقاصد القرآنية التي بينها السعدي المستنبطة من القصص القرآني؟

هل للسعدي مقاصد انفرد بها عن غيره من العلماء؟

أهداف الدراسة:

1- استقراء وتحليل وإبراز مقاصد القصص القرآني في تفسير السعدي إذ لا تزال مبثوثة في ثنايا تفسيره؛ فهذا من أهم أهداف هذا البحث

2- بيان الأثر التربوي والاجتماعي والقيادي لهذه المقاصد

3- الإسهام في الدراسات القرآنية المتعلقة بمقاصد القصص القرآني

4- تهدف هذه الرسالة إلى إبراز التفسير المقاصد ي ببيان مفهومه وأهميته ومقوماته

5- السعي إلى فهم أهداف القرآن وغاياته المباركة. يتطلب ذلك دراسة مضامين الآيات وروابطها مع سياقاتها، وتحديد مفاهيم الأخلاق والشرائع والأحكام التي يحملها القرآن.

6- توضيح المعاني المقصودة من آيات الله، من خلال الاستنباط والتحليل العميق للنص القرآني، يتم تحليل الألفاظ والجمل والعبارات لفهم المعاني التي يسعى إليها القرآن الكريم.

1- كما هدفت الدراسة في التفسير المقاصد ي إلى تطبيق مضامين القرآن في حياة الناس. يتم ذلك من خلال استخلاص الدروس والتوجيهات من الآيات، وتوجيهها لحل المشكلات المعاصرة وتحقيق الإصلاح في المجتمع.

منهج الدراسة:

اتبعت في هذا البحث؛ المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي

الدراسات السابقة:

1- أطروحة دكتوراه للباحث (سليمان بن محمد النجران)، وتناولت المقاصد الخاصة بالعبادات وأثرها الفقهي ؛ وهو أفضل ما وقفت عليه من البحوث المتعلقة بالموضوع، حيث تناول الباحث المبحث الثاني من الباب الاول للمقاصد الخاصة، وخصص أيضا المقاصد الخاصة بالعبادات تحديدا، ومن ثم خصص الباب الثاني كاملا في تعريف أنواع المقاصد الخاصة بالعبادات تحديدا، وجعل الباب الثاني كاملا لأنواع المقاصد الخاصة بالعبادات، وأورد فيه سبعة مقاصد موزعة على سبعة مباحث، وهى أقرب أن تكون معالم وحدات للمقاصد الخاصة بالعبادات، وليست المقاصد نفسها مثل: التعيين والتعميم، الإطلاق والتقييد، ولم يقصد في بحثه تناول المقاصد الخاصة بكل عبادة على حده، وهى المقاصد الجزئية .

2- بحث محكم للدكتور (جميل يوسف زريوا) في مقاصد الشريعة الجزئية في كتاب العبادات، وهدف البحث إلى مقاصد الشريعة عند الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى، وعرض في ذلك البحث مقاصد الطهارة والآذان والصلاة والزكاة والصيام والحج، موزعة على سبعة مباحث أيضا.

المبحث الأول: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

عبد الرحمن بن ناصر السعدي 1307هـ/1889م – 1376هـ/1956م

نشأته:

هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي من آل سعدي من الحمران من قبيلة النواصر أحد قبائل تميم، ولد في بلدة عنيزة في القصيم، وذلك يوم 12 محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية الشريفة

شيوخه:

أخذ عن الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وهو أول من قرأ عليه وكان يصف شيخه بحفظه للحديث، ويتحدث عن ورعه ومحبته للفقراء مع حاجته ومواساتهم، وكثيرا ما يأتيه الفقير في اليوم الشاتي فيخلع أحد ثوبيه ويلبسه الفقير مع حاجته إليه، وقلة ذات يده رحمه الله.

ومن مشايخه أيضا الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، قرأ عليه في الفقه وعلوم العربية وغيرهما.

والشيخ صالح بن عثمان القاضي (قاضي عنيزة) قرأ عليه في التوحيد والتفسير والفقه أصوله وفروعه وعلوم العربية، وهو أكثر من قرأ عليه ولازمه ملازمة تامة حتى توفي رحمه الله.

- الشيخ عبد الله بن عايض.
- الشيخ صعب القويجري، وغيرهم الكثير

مؤلفاته:

كان –رحمه الله تعالى– ذا عناية بالغة بالتأليف فشارك في كثير من فنون العلم فألّف في التوحيد، والتفسير، والفقه، والحديث، والأصول، والآداب، وغيرها، وأغلب مؤلفاته مطبوعة إلا اليسير منها.

وإليك سرد لأهم هذه المؤلفات:

1- الأدلة والقواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.
2- الإرشاد إلى معرفة الأحكام.
3- انتصار الحق.
4- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخيار.
5- التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب.

6- توضيح الكافية الشافية.

7- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.

8- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة.

9- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.

10- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

11- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن."

"محمد بن صالح العثيمين، و الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد 1437/2016"

المطلب الثاني: مفهوم المقاصد القرآنية؛ أهميتها، وأنواعها:

المقاصد في اللغة:

قال ابن فارس في معجمه: " القاف والصاد والدال أصول ثلاثة يدل أحدهما على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشي ء، فالأصل قصدته قصدا ومقصدا، ومن الباب: أقصده السهم إذا أصابه فقتل مكانه (ابن فارس،2002، ج5، ص595)

وقال صاحب تاج العروس: " القصد استقامة الطريق وهكذا في المفردات للراغب الأصفهاني قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ..... ﴾ النحل: ٩ أي: على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة ... وطريق قاصد؛ أي: سهل مستقيم... وزاد في المفردات: كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه. (الزبيدي، ج9 ، ص 35-36)

بناء على ما سبق من التعريفات اللغوية لمعنى المقاصد نقول: إن المقاصد في الأصل تعني العزم والتوجه نحو الشيء، فمقاصد القرآن هي التوجه نحو القرآن وآياته لاستخلاص مراد الله الرئيسي من تلك الآيات ويكون ذلك حسب الطاقة البشرية.

مقاصد القرآن في الاصطلاح: يمكن تقسيم التعريف إلى عدة مشتقات ومنها

الشق الأول: وهو يتضمن بيان الدلالات اللغوية لألفاظ القرآن الكريم، ومن ثم يستطيع المفسر من الوصول إلى مفهوم آيات القرآن وفقا للمقاصد العامة منه، لذا فإن احتمال الألفاظ لأوجه لغوية متعددة، وقراءات متواترة، فيه يسر ورفع للمشقة الناتجة عن تفسير واحد للفظ ومن ثم تمثل المنهج التيسير ي من المقاصد التي جاء بها القرآن: ﴿ ..... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ..... ﴾ البقرة: ١٨٥

الشق الثاني: تضمن إبراز وإيضاح الأحكام والأسرار والغاية التي أنزل الله تعالى من أجلها القرآن الكريم كما شرع الله من أجلها الأحكام فإن ذلك إظهارا لعظمة القرآن وبيان

مقاصده التي جاء من أجل تحقيقها من تشريع في إصلاح الفرد والمجتمع مع بيان الهدف والغاية من القصص القرآني العظيم في سرده ومحتواه.

الشق الثالث: تمثل في مراعاة العلوم والأدوات الضرورية للتفسير مع استبعاد القراءات المعاصرة والتي تدعي "المقاصدية" لأنها تحول المقصد من المقصد القرآني الى مقصد المفسر وذلك بتحميل النص مالا يتحمل، كما يمكن أن يضاف للتعريف أيضا "مع بيان كيفية الإفادة منها؛ حتى تتعانق النظرية مع التطبيق، في بيان كيفية استنزال هدايات القرآن الكريم على الواقع المعاصر، كما تتسع دائرة الهداية فتشمل الفرد والأسرة والمجتمع والإنسانية بشكل شامل وبالهداية تتم العناية والرعاية من رب البرايا"(الأطرش وعبده،2011)

أهمية التفسير المقاصدي:

جاء التفسير المقاصد ي ليحمل مفهوم تعريف مقاصد آيات القرآن الكريم وما تحمله من معنى وهدف منها وهو ذلك النوع من التفسير الذي يحث على المفهوم من ألفاظ القران الكريم وتوسيع دلالتها اللغوية بالإضافة إلى بيان الحكم والغايات التي أنزل من أجلها القرآن وشرعت من أجلها الأحكام.

وفي شكل نقاط مبسطة نستطيع تحديد أهمية التفسير المقاصدي كالتالي:

1- فهم أعمق للقرآن: يساعد التفسير المقاصد ي على فهم أعمق لمعاني القرآن الكريم ومقاصده العامة؛ وبالتالي يساعد على تطبيق تعاليم القرآن في الحياة اليومية.

2- توجيه الفهم الصحيح: يساعد التفسير المقاصد ي على توجيه الفهم الصحيح للقرآن، ويحد من التفسيرات الخاطئة أو الفهم السطحي للنصوص القرآنية.

3- تطبيق القرآن في العصر الحديث: يساعد التفسير المقاصد ي على تطبيق القرآن في العصر الحديث وفهم كيفية تطبيق تعاليم القرآن في القضايا المعاصرة.

4- تعزيز الوعي الديني: يساعد التفسير المقاصد ي على تعزيز الوعي الديني للمسلمين وتعميق فهمهم للإسلام وتعاليمه.

أنواع المقاصد القرآنية

يمكن التعبير عن مفهوم المقاصد العامة والخاصة والجزئية بأن المقاصد العامة هي مقاصد القرآن بشكل عام وهي المقاصد الكبرى، والمقاصد الخاصة هي مقاصد السور وهي ما يعرف بالوحدة الموضوعية للسورة، والمقاصد الجزئية وهي مقاصد الآيات.

فمقاصد القرآن أنواع:

مقاصد القرآن العامة:

وهي التي ذكرها الغزالي في جواهر القرآن، والرازي في مفاتيح الغيب والقرطبي في أحكام القرآن ثم جاء ابن عاشور بعدهم فتتبعها وحصرها في ثمان مقاصد وعند السعدي ست مقاصد.

مقاصد خاصة: وهي مقاصد السور أو ما يعرف بالوحدة الموضوعية للسورة وهي المقاصد الخاصة

ومقاصد جزئية: وهي مقاصد الآيات كمقاصد المعاملات من بيوع ورهن وزواج وغيرها...

المبحث الثاني: مقاصد القصص القرآني عند السعدي

تمهيد

يُعد القصص القرآني من أهم الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم لتعليم المسلمين وتوجيههم فهو لا يقتصر على السرد التاريخي؛ بل يحتوي على العديد من الدروس والعبر التي تساعد المسلمين في فهم دينهم وتحقيق الاستقامة في حياتهم كما تحمل في طياتها العديد من المقاصد التربوية والتوجيهية التي تهدف إلى توضيح الحقائق الدينية والأخلاقية بأسلوب ميسر وملهم ويتميز القرآن الكريم بعرض القصص كوسيلة لإيصال الرسائل بيسر ووضوح عن الله تعالى وعلاقته مع خلقه وكيفية التعامل مع الحياة بشكل يجنبك اتخاذها مطية إلى النار؛ فالقصص يعتبر نموذج حي لشخصيات تاريخية تحمل في طياتها عبرا ودروسا لمن أراد الهدى؛ قال السعدي: " وهذا هو المقصود الأعظم من سياق القصص أنه يحصل بها العبرة، وأعظم العبر؛ الاستدلال بها على التوحيد والرسالة، والبعث وغيرها من الأصول الكبار" (السعدي، 2000: 967)

وقال أيضا " ... فليس المقصود من قصصهم أن تكون فقط سمرا، وإنما الغرض الأعظم منها أن تكون تذكيرا وعبرا." (السعدي، 1422هـ، ج 1، ص171)

أما الأمثال في القرآن الكريم فقد وردت لتوضيح مفاهيم دقيقة بشكل مختصر وبليغ كالفرق بين الإيمان والكفر، أو الخير والشر، في ألفاظ مجازية ومعان عميقة؛ والعبرة من الأمثال والقصص ليس سردا لأحداث تاريخية أو عبر فحسب؛ بل هي دعوة للتأمل والتدبر، وتشجيع الإنسان على أن يأخذ منها عبرة لتوجيهه في حياته إلى الطريق الصحيح الذي يرضي رب العباد؛ كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١ ومن خلالهما يعرض القرآن

الكريم قيم الصبر والتقوى والعدالة ويحذر أشد تحذير من العواقب الوخيمة للكفر والظلم، وبيان سنن الله في كونه مما يجعلهما أداة فعالة لتحقيق الإصلاح في الأمة الإسلامية .

المطلب الأول: المقاصد العامة للقصص القرآني

قال ابن عاشور في المقدمة السابعة من مقدمة تفسيره: " امتن الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ يوسف: ٣ فعلمنا من قوله: { أحسن }؛ أن القصص القرآنية لم تسق مساق الإحماض وتجديد النشاط وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر لأن غرض القرآن أسمى وأعلى من هذا، ولو كان من هذا لساوى كثيرا من قصص الأخبار الحسنة الصادقة فما كان جديرا بالتفضيل على كل جنس القصص... وأبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوقها قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها؛ بل الغرض من ذلك أسمى وأجل ؛ إن في تلك القصص لعبرا جمة وفوائد للأمة ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها، من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها؛ لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع، هو ذكر وموعظة لأهل الدين فهو بالخطابة أشبه.

وللقرآن أسلوب خاص؛ هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير وبالذكر في آيات يأتي تفسيرها فكان أسلوبه قاضيا للوطرين وكان أجل من أسلوب القصاصين في سوق القصص لمجرد معرفتها لأن سوقها في مناسباتها يكسبها صفتين:

أ- صفة البرهان

ب- وصفة التبيان؛ ونجد من مميزات قصص القرآن نسج نظمها على أسلوب الإيجاز ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص (ابن عاشور، 1984، ج1، ص65)

وقال السعدي في معرض حديثه عن قصص الأنبياء وما فيها من العبر:

1- أن في قصصهم تقرير الإيمان بالله، وتوحيده، وإخلاص العمل له، والإيمان باليوم الآخر، وبيان حسن التوحيد ووجوبه، وقبح الشرك، وأنه سبب الهلاك في الدنيا والآخرة.

2- وفي قصصهم أيضا عبرة للمؤمنين يقتدون بهم في جميع مقامات الدين: في مقام التوحيد والقيام بالعبودية، وفي مقامات الدعوة والصبر والثبات عند جميع النوائب المقلقة، ومقابلة ذلك بالطمأنينة والسكون والثبات التام، وفي مقام الصدق والإخلاص لله في جميع الحركات والسكنات واحتساب الأجر والثواب من الله تعالى، لا يطلبون من الخلق أجرا ولا جزاء ولا شكورا إلا الأمور النافعة للخلق.

3- فيها أيضا عبرة لاتفاقهم على دين واحد وأصول واحدة، ودعوة إلى كل خلق جميل وعمل صالح وإصلاح، وزجرهم عن كل ما يضاد ذلك.

4- وفيها أيضا من الفوائد الفقهية والأحكام الشرعية والأسرار الحكمية شيء عظيم لا غنى لكل طالب علم عنها.

5- وفيها أيضا من الوعظ والتذكير والترغيب والترهيب، والفرج بعد الشدة، وتيسير الأمور بعد تعسرها، وحسن العواقب المشاهدة في هذه الدار، وحسن الثناء والمحبة في قلوب الخلق ما فيه زاد للمتقين، وسرور للعابدين، وسلوة للمحزونين، ومواعظ للمؤمنين (السعدي،1422هـ،ج1، ص171)

6- ومن مقاصدها العامة أيضا: تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم أصلا وأمته تبعا؛ قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود: ١٢٠ فالآية تتحدث عن كيفية تثبيت الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بالقصص والأخبار عن الرسل والسابقين بهدف تقوية فؤاده وزيادة إيمانه في مواجهة ما يلقاه من معارضات وكيد الكفار والمشركين من قريش وغيرهم، فكما أن هذه القصص تذكيرا للمؤمنين ودعوة لهم للعمل بما جاء في القرآن فهي موعظة وتوجيه لهم للتوبة والإيمان بالله و أن الله يسرد قصص الأنبياء على النبي محمد صلى الله عليه وسلم لتثبيت قلبه وتقوية عزيمته مما يعلم المسلمين أهمية الصبر والثبات في مواجهة التحديات؛ ولذلك قال تعالى:﴿ ... وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

قال السعدي في تفسير هذه الآية: " أي: يتعظون به فيرتدعون عن الأمور المكروهة ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها؛ وأما من ليس من أهل الإيمان؛ فلا تنفعهم المواعظ وأنواع التذكير... " (السعدي، 2000 :402)

7- بيان عاقبة المكذبين والطغاة: "وكذلك الاعتبار والاتعاظ من خلال النظر في سنة الله النافذة في هذا الكون؛ فالعاقبة دائما للمتقين والبوار والخزي دائما على الظالمين؛ ولذلك جاءت الآيات الكثيرة التي تحث على السير في الأرض والاعتبار

من عواقب آثار الماضيين" (الربيعة، 2019: 229) قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ..... ﴾ يوسف: ١١١؛ قال السعدي: " أي يعتبرون بها أهل الخير وأهل الشر، وأن من فعل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة وإهانة ويعتبرون بها أيضا ما لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة وأنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له" (السعدي، 2000: 420)

فالقرآن الكريم تناول في قصصه العامة عديدا من العبر والإرشادات التي تسهم في بناء شخصية المؤمن وتقوية على الصبر في مواجهة الابتلاءات وبيان طبيعة الصراع بين الحق والباطل وأن الغلبة لا بد أن تكون للحق مهما ضعف والخسران لابد أن يكون للباطل مهما اشتد.

ومع ذلك لا تقتصر أهداف القصص القرآني على هذه المعاني العامة فحسب؛ بل إن لكل قصة من قصصه مقاصد خاصة تفصيلية ترتبط بالرسالة التي أراد الله تعالى إيصالها لخلقه؛ ومن خلال التعمق في هذه المقاصد العامة؛ والخاصة التي سنتحدث عنها بعون الله_ يمكننا فهم أدق لمقاصد هذه القصص العظيمة من سبل التعايش مع التحديات اليومية وكيفية التأسي بالأنبياء والصالحين في سعيهم نحو مرضات الله.

فالقصص القرآني بما يحمله من عبر وفوائد يعد مصدرا لا ينضب من الهدى والموعظة وهو ركيزة أساسية في فهم سنن الله الثابتة في كونه وإدراك أن الله عز وجل يرسل الرسل والأنبياء ليدلوا بأسمى قيم العدل والإيمان وتبليغ رسالة الخير؛ ومن خلال التعمق والتدبر في هذه القصص يجد المؤمن في كل سرد قرآني لقصة ما رسالة شخصية تلامس شغاف قلبه وتساعده على المضي في درب التقوى والرشاد.

قال الشعراوي: " قصص القرآن ليست لقتل الوقت؛ ولكن الهدف الأسمى للقصة هو تثبيت ونفع حركة الحياة الإيمانية، ولو نظرنا إلى قصص القرآن الكريم نجد أنها تتحدث عن أشياء مضت وأصبحت تاريخا؛ والتاريخ يربط الأحداث بأزمانها، وقد يكون التاريخ لشخص لا لحدث؛ ولكن الشخص حدث من أحداث الدنيا، ولو قرأت تاريخ كل حدث لوجدت أنه يعبر عن وجهة نظر راوية؛ فكل قصص التاريخ كتبت من وجهات نظر من رووها، ولذلك فالقصة الواحدة تختلف باختلاف الراوي" (الشعراوي، 1991، ج1، ص236)

ثانيا: المقاصد الخاصة لبعض القصص القرآني من منظور السعدي:

إن للقصص القرآني مقاصد عامة مستنبطة من جميع القصص _كما سبق وأشرنا_ ولها مقاصد خاصة مستنبطة من كل قصة على حده؛ وهي ما يمكن استنباطها

بالتدبر والتأمل في آيات القصص، وتختلف استنباطات المفسرين لمقاصد القصص اختلاف تنوع يثري هذا الجانب من علوم القرآن بالمقاصد العظيمة الكثيرة، والسعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن له جهود كبيرة في بيان مقاصد كل قصة يشرع في تفسيرها ومن بين الجوانب المضيئة في هذا التفسير هو كيفية إبرازه للمقاصد؛ فهو يصب كل اهتمامه على تبيان العبر والدروس المستفادة من قصص الأنبياء والأمم السالفة ويسعى في توضيح الهدف الأسمى من هذه القصص؛ وهو حث المسلمين على التمسك بالقيم العليا من صبر، وتوحيد لخالقهم، والاستقامة على الطريق الصحيح والثبات عليه.

كما أن للسعدي طريقة لا تكاد تجدها في أغلب كتب التفاسير الأخرى؛ وهو عدم أخذه بالإسرائيليات وإعراضه عنها إعراضا واضحا؛ ففي أغلب القصص تجده يحذر منها ومن الخوض فيها أشد تحذير؛ وفي حديثه عن قصة نبي الله صالح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ..... ﴾ الأعراف: ٧٣ بعد أن انتهى من تفسير الآية قال " واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح وأنها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون وأن لها فصيلا حين عقروها رغى ثلاث رغيات وانفلق له الجبل ودخل فيه وأن صالحا عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني: محمرة، والثالث: مسودة، فكان كما قال، وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات .ثم بين رحمه الله تناقض هذه الإسرائيليات مع صريح القرآن:

فقال: إن صالحا قال لهم: ﴿ .....تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ..... ﴾ هود: ٦٥

أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم احمرار وجوههم، واصفرارها واسوادادها من العذاب؛ هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟ فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه." (السعدي، 2000: 293)

وإن الناظر في أغلب كتب التفسير يجد فيها من الإسرائيليات الشيء الكثير مما يناقض صريح القرآن، ويركز السعدي على نقطة هامة جدا في هذه الصدد وهي أن ما جاء في القرآن الكريم من قصص وأخبار عن الأمم السالفة لا يتطلب إدخال روايات غير موثوقة لا حاجة لنا بها وأن القرآن قد بين القصص بتمامها ووضوحها وما لا يوجد في القرآن فلا حاجة للمسلمين به ولا يوجد فيه أي عبر أو حكم إنما كل الدروس والعبر والحكم فيما نص عليه ربنا سبحانه وتعالى في كل قصة أو بينه رسوله صلى الله عليه وسلم في صحيح سنته؛ وما أعرض عنه ربنا فقطعا لا حاجة لنا به ونحن في غنا عنه؛ وقد قال السعدي كلاما بخصوص الاغتراف من الإسرائيليات وبثها في تفاسير القرآن كلاما هاما جدا؛ فعند تفسيره لسورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ..... ﴾ يوسف: ٣ يقول: " واعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحا فإن تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير؛ فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي صلى الله عليه وسلم ينقل." (السعدي،2000: 403)

لأجل كل ذلك لا تكاد تجد في تفسيره أي إسرائيليات إلا إذا أراد التنبيه عليها، وهذا ما جعل هذا التفسير مرغوبا عند كثيرا من الناس خواصهم وعوامهم؛ فالسعدي في عرضه للقصص القرآني واستنباطاته منها يهدف إلى أن يخرج القارئ بفهم عميق لمقاصد كل قصة في حدود دلالة الآية ولا يطلب المقصد خارج الآية.

وسنتحدث عن بعض قصص القرآن الكريم وليس كل قصصه، ونبين مقاصدها من منظور السعدي

وإنما اخترنا هذه القصص عن سواها لكثرة المقاصد التي استنبطها السعدي منها؛ وأما باقي القصص فهي لا تخلوا من المقاصد المفيدة أيضا؛ ولكن هذا البحث لا يحيط بإيرادها كلها فاخترنا بعضا منها بناء على قراءة تفسير السعدي فوجدنا يقف فيها على عدة مقاصد جليلة فرمنا استظهارها واكتفينا بها ونحسب أن فيها من الفوائد والمقاصد الشيء الكثير.

أولا: مقاصد قصة آدم عليه السلام

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ..... ﴾ البقرة: ٣٠ إلى آخر الآيات.

1- أول مقصد يستنبطه السعدي من هذه الآيات؛ مقصد عقدي دقيق جدا وهو إثبات الكلام لله تعالى: يشير إلى أن القصص القرآني يعزز من مفهوم الكلام الإلهي ويثبته صفة لله عز وجل، وأن الله تعالى يتكلم بما شاء وحسب حكمته وعلمه وهو ما يظهر في كل يأمر به أو ينهى عنه؛ كذلك في قصة الملائكة وآدم عليه السلام وهذا يؤكد صفة الكلام لله سبحانه مما يعزز الإيمان بصفات الله تعالى كما وردت من دون تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تأويل. وهذا المقصد مستنبط من قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ..... ﴾ قال السعدي: " وفي هذه الآيات من العبر والآيات: إثبات الكلام لله تعالى؛ وأنه لم يزل متكلما؛ يقول ما شاء؛ ويتكلم بما شاء؛ وأنه عليم حكيم" (السعدي،2000: 40)

2- وجوب التسليم لحكمة الله وعدم الاعتراض عليها: يؤكد السعدي على ضرورة تسليم العبد لخالقه في الأمور التي لا تدرك فيها الحكمة من أفعال الله تعالى أو أوامره أو نواهيه

يقول " إن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالوجب عليه التسليم واتهام عقله والإقرار لله بالحكمة" (السعدي، 2000: 40) وقال القنوجي في قوله تعالى: ﴿ .....قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة: ٣٠ وفي هذا الإجمال ما يغني عن التفصيل، لأن من علم ما لا يعلم الخاطب له كان حقيقاً بأن يسلم له ما يصدر عنه، وعلى من لا يعرف أن يعترف لمن يعلم بأن أفعاله صادرة على ما يوجبه العلم وتقتضيه المصلحة الراجحة والحكمة البالغة، ولم يذكر متعلق قوله (تعلمون) ليفيد التعميم، ويذهب السامع عند ذلك كل مذهب ويعترف بالعجز ويقر بالقصور" (القنوجي،1992م، ج1، ص127)

وجاء في المختصر: " الواجب على المؤمن إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض خلقه وأمره أن يسلم لله في خلقه وأمره "(المختصر في التفسير، 1334هـ، ج1، ص6)

3- اعتناء الله بشأن الملائكة وإحسانه بهم: إن الله سبحانه يعامل ملائكته برفق ورحمة؛ وذلك بتعليمهم وتوضيح الأمور التي قد يجهلونها، كما علمهم فضل آدم عليه السلام وأن الله كما علمهم ما لم يعلمه آدم كذلك يعلم آدم ما لم يعلمونه؛ وهذا يعكس عناية الله تعالى بشؤون خلقه وتوجيههم لما فيه نفعهم وصلاحهم؛ يقول السعدي:

"وفيها اعتناء الله بشأن الملائكة وإحسانه بهم؛ بتعليمهم ما جهلوا تنبيههم على ما لم يعلموه " (السعدي،2000: 40)

4- فضيلة العلم: يستنبط السعدي من هذه الآيات أن العلم من أعظم الفضائل التي يتصف بها الإنسان فقد أظهر الله لملائكته فضل آدم بفضل علمه؛ وذلك يدل على أن العلم سبب رئيسي لتفضيل آدم على الملائكة؛ ويعزز من قيمة العلم في الإسلام وأن بالعلم يحصل التفاضل بين الخلق؛ قال أبوبكر الجزائري: " من هداية الآية: شرف العلم وفضل العالم على الجاهل " (الجزائري،2003، ج1، ص 32) . وقال السعدي: "وفي الآيات فضيلة العلم من وجوه:

أ- أن الله تعرف لملائكته بعلمه وحكمته

ب- أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم؛ وأنه أفضل صفة تكون في العبد

ت- أن الله أمرهم بالسجود لآدم؛ إكراما له لما بان فضل علمه" (السعدي،2000: 40)

5- الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن: من خلال القصص القرآني يتم عرض تاريخ الشرية وخصوصا بداية خلق الإنسان؛ لتوضيح العبر والعواقب؛ مثل عداوة إبليس لآدم عليه السلام وذريته وتفضيله عليه؛ هذا يربط الناس بماض مشترك يبين دوافع الخير والشر وعاقبة كلا منهما؛ يقول السعدي " ومن العبر التي احتوت عليها القصة: الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن وبيان فضل آدم وإفضال الله عليه وعداوة إبليس له " (السعدي،2000: 41)

قال الشعراوي: "اعترف آدم بذنبه واعترف بضعفه واعترف بأن المنهج حق وطلب التوبة من الله سبحانه وتعالى؛ ولكن إبليس رد الأمر على الآمر؛ قال: ﴿ .....قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ الأعراف: ١٢ وقال: ﴿ .....لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ﴾ الأعراف: ١٦ قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ ﴾ ص: ٨٢ - ٨٣ وقال: ﴿ .....لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ الإسراء: ٦٢ فإبليس هنا رد الأمر على الآمر؛ لم يعترف بذنبه ويقول يا رب غلبني ضعفي وأنت الحق وقولك الحق؛ ولكنه رد الأمر على الله تعالى وعاند وقال سأفعل كذا وسأفعل كذا. وهذا كفر بالله." (الشعراوي، 1991، ج1، ص273) فهذا من مواطن العبر التي تأخذ من قصة آدم عليه السلام وإبليس نعوذ بالله منه.

6- مساواة الجن والإنس في الثواب والعقاب: يظهر القصص القرآني أيضا أن الجن مثل الإنس في المسؤولية تجاه خالقهم عز وجل؛ في الثواب والعقاب، وفيما يتعلق

بالشرائع والواجبات الدينية، يبين ذلك المساواة بين جميع الخلق أمام الله سبحانه سواء كانوا من الإنس أو الجن قال السعدي: "وفي هذه الآيات أن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم في الأمر والنهي (السعدي، 2000: 42) ووجه الاستنباط: أن في الآية دعوة إبليس للاستجابة إلى أوامر خالقه؛ وترتيب الثواب والعقاب على ذلك فدل على أن حكم الجن كحكم الإنس في الثواب والعقاب والتعبد بامتثال الأوامر واجتناب النواهي؛ قال ابن تيمية: "والجن مكلفون كتكليف الإنس ومحمد صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الثقلين الجن والإنس وكفار الجن يدخلون النار بالنصوص وإجماع المسلمين. وأما مؤمنوهم: ففيهم قولان وأكثر العلماء على أنهم يثابون أيضا ويدخلون الجنة" (ابن تيمية، 2005، ج 13، ص86)

وقال القنوجي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الأحقاف: ٣١ وفي هذه الآية دليل على أن حكم الجن حكم الإنس فيه الثواب والعقاب والتعبد بالأوامر والنواهي. (القنوجي، 1992، ج13، ص38)

فالذي يظهر من تفسير السعدي لقصة آدم عليه السلام أن مقاصدها: إثبات صفة الكلام لله عز وجل، وأهمية التسليم لحكمته، وقيمة العلم وفضله، وضرورة الاختبار في تعزيز الفضائل وتمييز الخبيث من الطيب، والاعتبار بالعبر التاريخية، والمساواة بين الخلق في الثواب والعقاب.

ثانيا: مقاصد قصة شعيب عليه السلام

إن بخس المكاييل والموازين خصوصا، وبخس الناس أشيائهم عموما من أعظم الجرائم الموجبة لعقوبات الدنيا والآخرة، وأن المعصية الواقعة لمن عدم منه الداعي و الحاجه إليها أعظم، لذا فكان الزنا من الشيخ أقبح من الشباب، والكبر من الفقير أقبح من الغنى، والسرقة ممن ليس بحاجه أعظم من وقوعها من المحتاج، لذا قال شعيب لقومه "﴿ .....إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ..... ﴾ هود: ٨٤ أي: بنعم كثيرة، فأي أمر أحوجكم إلى الهلع إلى ما بأيدي الناس بطرق محرمة، وفي قوله﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ..... ﴾ هود: ٨٦ فيه الحث على الرضا بما أعطى الله والاكتفاء بحلاله عن حرامه، وأن الجزاء من جنس العمل، فمن بخس أموال الناس يريد زيادة ماله، عوقب بنقيض ذلك وكان سببا لزوال الخير الذي عنده من الرزق، لقوله: ﴿ .....إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ..... ﴾ هود: ٨٤ أي فلا تتسببوا إلى زواله بفعلكم" (السعدي،2000:

397) والترهيب بأخذات الأمم، وما جرى عليهم، وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر، كما ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث على التقوى.

وقد ذكر السعدي في قصة شعيب عليه السلام مقاصد عديدة ذات فوائد عظيمة:

1- الدعوة إلى توحيد وترك الشرك، وهي دعوة جميع الرسل ومن أجلها خلق الخلق

﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ..... ﴾ الأعراف: ٨٥

2- التحذير من الظلم والفساد والتنبيه على عواقب الغش في المعاملات التجارية

﴿ ....وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴾ هود: ٨٤ يقول رحمه الله: "إن نقص المكاييل والموازين من كبائر الذنوب وأن ذلك من سرقة أموال الناس بالاحتيال؛ فسرقتهم على وجه القهر والغلبة من باب أولى وأحرى".

3- أن الكفار كما يعاقبون ويخاطبون بأصل الإسلام، فكذلك بشرائعه وفروعه، فكما دعا قومه إلى التوحيد الذي هو أصل الإسلام؛ دعاهم أيضا إلى إيفاء المكيال والميزان اللذان هما من فروعه وجعل الوعيد مرتبا على مجموع ذلك

4- أن الجزاء من جنس العمل؛ فمن بخس أموال الناس يريد زيادة ماله، عوقب بنقيض ذلك وكان سببا لزوال الخير الذي عنده من الرزق

قوله تعالى: ﴿ .....إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ..... ﴾ هود: ٨٤ أي: لا تتسببوا إلى زواله بفعلكم.

5- أن الصلاة من أفضل الأعمال وأنها لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، حتى أنه متقرر عند الكفار فضلها وتقديمها على سائر الأعمال، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشرائعه، فبإقامتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها تختل أحواله الدينية قال تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ..... ﴾ هود: ٨٧ وقد ذكر الفخر الرازي رحمه الله ثلاثة أقوال في معنى الصلاة في هذه الآية منها: أنها هي هذه الأعمال المخصوصة، أي: الصلاة المعروفة. وقد روي أن شعيبا كان كثير الصلاة. (الرازي، 1420هـ، ج18، ص387)

أن من تكملة دعوة الداعي وتمامها أن يكون أول مبادر لما يؤمر غيره به وأول منته عما ينهى غيره عنه، وهذا مستفاد من قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام:

﴿ .....وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ ..... ﴾ هود: ٨٨ ومنها أن وظيفة الرسل وسنتهم إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان، فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها وبدفع المفاسد وتقليلها ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة

6- ومنها أن العبد لا ينبغي له أن يتكل على نفسه طرفة عين، بل لا يزال مستعينا بربه متوكلا عليه، سائلا له التوفيق، وإذا حصل له شيء من التوفيق فلينسبه لله تعالى ولا يعجب بنفسه، وهذا المقصد مستفاد من قوله: ﴿ .....وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨ التحذير من عواقب رفض دعوة الأنبياء كما يظهر من مصير قوم شعيب؛ قال تعالى﴿ .....وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾ هود: ٩٤ إبطال الفخر بالقبيلة والتأكيد على عظمة الله وأن الانتماء إلى القبيلة ليس بمانعك من المساءلة أمام الله وأن اتباع القبائل لا ينبغي أ يكون له الأولوية على طاعة الله؛ قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِۖ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢ ﴾ هود: ٩١ – ٩٢ (السعدي، 2000: 397-398)

ثالثا: مقاصد قصة ذو القرنين

القصة الواردة في سورة الكهف عن ذي القرنين تحمل في طياتها عديدا من المقاصد الجليلة والعبر المفيدة والتي تعكس جوانب من حكمة الله والعدل والإحسان. قال السعدي: " كان أهل الكتاب أو المشركون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة ذي القرنين فأمره الله أن يقول: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرٗا ﴾ الكهف: ٨٣ (السعدي، 2000: 505)

كان ذو القرنين ملكا صالحا، أعطاه الله عز وجل من القوة والحكمة والقدرة ما لم يعط غيره "فهو من الأربعة الذين ملكوا الأرض" حسب ما أخرجه الحاكم موقوفا على معاوية. (الحاكم، 1999)

وقد أخبرنا ربنا عز وجل بقصته؛ حيث تحدث عن سيرته وكيفية إدارته لمملكته وتوسعه في الأرض؛ فقد تمكن من استخدام ما أعطي له من أسباب لتحقيق العدالة والإصلاح فطاف في أرض الله شرقا وغربا ووصل إلى أماكن مختلفة فتعامل مع الناس بما يتناسب مع ظروفهم .

والقصة تستعرض كيف أن ذو القرنين رغم ما يمتلكه من قوة وتمكين إلا أنه كان دائما يعمل بالأسباب التي وهبها له مسبب الأسباب جل في علاه ويمضي في طريقه متبعا الحكمة والعقل في كل قرار يتخذه وهذه القصة تبرز عظمة القيادة الصالحة المبنية على العدل وكيف أن كل فعل مهما كان عظيما يجب أن يكون مؤسسا على حكمة وإيمان والقصة بشكل عام تعلمنا أن استخدام القوة والقدرة والتمكين يجب أن تكون دائما في خدمة الخير العام، كما تعلمنا أن الله تعالى مطلع على كل شيء؛ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴾ الكهف: ٩١ قال الطبري: "وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علما لا يخفى علينا ما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم، ولا من غيرهم شيء (الطبري،2000، ج18، ص101)

وقال ابن كثير: "أي: نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيء، وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض، فإنه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ آل عمران: (ابن كثير،1999، ج5، ص175)

وقد عرض السعدي هذه القصة في كتابيه تيسير الكريم الرحمن وتيسير اللطيف المنان واستنبط منها مقاصد كثيرة تشمل دروسا في العدالة، والعمل بالأسباب، والتواضع، وشكر الله، والعمل بالإصلاح؛ وهذه القيم المهمة في كل زمان ومكان سواء للحكام أو للرعية كما أنها تساعد في بناء مجتمع صالح تسوده العدالة والمساواة.

وفيما يلي أبرز هذه المقاصد العظيمة من تفسيره تيسير الكريم الرحمن:

1- التأكيد على تمكين الله لعباده الصالحين في الأرض: والهدف من تمكين الله لذي القرنين هو إظهار قدرة الله في تمكين الإنسان الصالح من النهوض بالعدل والإصلاح في الأرض ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾ الكهف: ٨٤

قال السعدي: " ملكه الله تعالى، ومكنه من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له"؛ دليل على أن كل سلطان أو تمكين في الأرض هو بيد الله وحده وتمكين الله له كان يهدف لاستخدامه في نشر الخير والعدل وهو ما يبرز أهمية استثمار والسلطان والقوة في الخير والصلاح إذا مكنك الله من ذلك؛ ويشير السعدي إلى أن ذلك التمكين يتضمن قدرة عظيمة على التحكم في الأمور وقد استخدم تلك القدرة في نشر العدل لا في الطغيان وهذا يوضح بجلاء أهمية تقوى الله فيما مكن فيه عباده وحسن الاستخدام لنعم الله التي يهبها لعباده المؤمنين .

قال الشعراوي: " فالتمكين يعني إعطاءه إمكانات لكل غرض يريده فيُصرِّف به الأمور، لكن لماذا مكناه؟ مكنّاه لأنه مأمون على تصريف الأمور وَفْق منهج الله، ومأمون على ما أعطاه الله من إمكانات." (الشعراوي، 1991، ج14، ص8981)

والتمكين لا يعني مجرد القدرة على التحكم في الأرض أو تسيير الأمور بل هو تمكين مشروط بالأمانة والالتزام فالله عز وجل مكن لذي القرنين في الأرض لأنه كان شخصا يحسن التصرف في هذه القدرات ويعتمد على التوجيه الإلهي في استخدام هذا التمكين لمصلحة الناس وصلاح في الأرض فهذه القصة عبرة للناس جميعا وخصوصا للحكام ولا سيما في عصرنا هذا أن يسيروا في حكمهم وفق توجيهات ربهم فكم من ملك مكنه الله في الأرض ولم يعمل في حكمه وفق أوامر ربه سلبه الله ذلك الملك ولنا في قصص الملوك الطغاة معتبرا ك النمرود وفرعون وما حصل في عصرنا الحالي لأغلب الحكام الذي طغوا وتجبروا ولم يلتزموا حدود ربهم في تسيير أمور ملكهم وتيسير أمور رعيتهم فكان ماذا؟ سلب الله عنهم ملكهم في طرفة عين كما تستل الشعرة من العجين فالإنسان مهما بلغ ملكه فإنه لا يملك من نفسه شيئا دون إرادة الله تعالى .

2- العمل بالأسباب لتحقيق الأهداف: فلم يعتمد ذو القرنين على قوته فقط؛ بل استخدم الأسباب التي آتاه الله إياها والتي به يستعين على قهر البلدان وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، يقول ربنا: ﴿ ....وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾ الكهف: وهذا يشير إلى أنه كان يسعى ويعمل وفقا للأسباب التي مكنه الله منها وهذا أيضا يبرز أهمية الاعتماد على الأسباب في الوصول إلى الغاية المرجوة ويحث على ان النجاح لا يتحقق إلا من خلا الاجتهاد واستخدام ما يوفره الله من وسائل وقدرات.

قال أبوبكر الجزائري: "إتباع السبب يصل به ذو الرأي والإرادة إلى تحقيق ما هو كالمعجزات" (الجزائري،2003م، ج3، ص283) فالاكتفاء بالتمني دون عمل هو ضرب من نقص في الأفهام .

وقال السعدي: " فليس كل من عنده شيء من السباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به حصل المقصود وإن عدما أو أحدهما؛ لم يحصل" (السعدي،2000: 505)

3- العدل في التعامل مع الناس كلا حسب حالته: قال السعدي في قوله تعالى

﴿ .....قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ ..... ﴾

الكهف: ٨٦ - ٨٧فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك فقال: سأجعلهم قسمين: : أما من ظلم بالكفر: فسوف

نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا أي: تحصل له العقوبتان: عقوبة الدنيا وعقوبة الآخرة.

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ الكهف: ٨٨ أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة ﴿ .....وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله" (السعدي،2000: 505).

ففي تعامله مع القوم الذين واجههم قسم ذو القرنين الناس إلى فئتين واعطاهم الحق في التعامل بناء على أفعالهم، وهذا يظهر فضل العدالة في الحكم حيث لا يعاقب أحد بجريرة أحد ولا يعاقب أحد إلا بما فعل، والعدل يقتضي أن يكون الحكم وفقا للحق ويراعى فيه تفاوت أحوال الناس بين الإيمان والكفر والإحسان والإساءة.

قال أبوبكر الجزائري: " في قول ذو القرنين: ﴿ .... أَمَّا مَن ظَلَمَ ..... ﴾ يجب أن يكون مادة دستورية يحكم به الأفراد والجماعات لصدقها وإجابتها وموافقتها لحكم الله تعالى ورضاه؛ ومن الأسف يعكس هذا القول السديد والحكم الرشيد فيصبح أهل الظلم مكرمين لدى الحكومات وأهل الإيمان والاستقامة مهانين!" (الجزائري،2003، ج3، ص 284)

4- الحذر من حب الدنيا والتعلق بزخارفها: عندما عرض عليه القوم أجرا لبناء السد رفض ذو القرنين أخذ المال وقال: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ..... ﴾ الكهف: ٩٥ وهذا يدل على تواضعه وحذره من طمع المال أو الدنيا فرفض أخذ الأجر من القوم لأنه كان يبتغي بذلك العمل وجه الله وحده؛ وهو درس كبير في الزهد في الدنيا والتركيز على المصلحة العامة بدلا من الاهتمام بالمكاسب الشخصية؛ وفي عصرنا هذا قد تكون هذه أهم رسالة توجه للقيادات في هذه الأمة وغيرها لتجنب الفساد والاستفادة الشخصية من المناصب وإهمال الرعية .

قال ابن كثير: " فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ..... ﴾ الكهف: ٩٥ أي: إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه" (ابن كثير، 1999، ج5، ص176)

وما أحسن قول السعدي عندما قال: " فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما

فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ..... ﴾ الكهف: ٩٥ أي: مما تبذلون لي وتعطوني" (السعدي، 2000: 506)

5- العمل للإصلاح يستلزم استئصال الفساد: فإن دور ذو القرنين كان موجها للإصلاح وليس للإفساد وقد عمل على بناء السد لحماية الناس من خطر يأجوج ومأجوج وهذا يظهر حرصه على الإصلاح؛ والعمل بالإصلاح يعتبر من أبرز مقاصد هذه القصة حيث يبذل ذو القرنين جهده في سبيل إيقاف الفساد وحماية الضعفاء وهذا يدعو الحكام إلى وضع مصلحة رعاياهم نصب أعينهم وأن يقدموها على مصلحتهم الشخصية وان يعملوا على الحد من الفساد وأن لا يكتفوا بالإصلاح فقط؛ وهذا عكس ما يحصل في زماننا تماما والله المستعان . في قوله تعالى: ﴿ ....إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ .... ﴾ الكهف: ٩٤

قال السعدي: " ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة، ليفعل ذلك وذكروا له السبب الداعي؛ وهو: إفسادهم في الأرض" (السعدي،2000 :506)

6- إضافة جميع النعم إلى الله وحده ولا سيما النعم الكبيرة: بعد أن بنى ذو القرنين السد المانع من خروج يأجوج ومأجوج؛ قال السعدي في قول ربنا عز وجل عن ذي القرنين: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي .... ﴾ الكهف: ٩٨ اعترافا منه بنعمة الله عليه في تمكينه من هذا الإنجاز العظيم التبرؤ من حوله وقوته وإثبات الحول والقوة إلى الله الواحد الأحد وهذا القول يبرز مدى أهمية الاعتراف بنعم الله وعدم الغرور بما حققه العبد العاجز لولا أن وفقه الله لما وفق.

وقد حث السعدي على أن النعم ينبغي أن تقابل بالشكر والاعتراف وهذا دأب الصالحين الاعتراف بها كفضل من الله بعيدا عن الكبر والتفاخر وهذا سبيل الجاحدين كما فعل أهل الفساد والعلو في الأرض فأهلكهم الله لأنهم نسبوا النعم لأنفسهم؛ قال: " فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي .... ﴾ الكهف: ٩٨ أي: من فضله وإحسانه علي، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة ازداد شكرهم وإقرارهم واعترافهم بنعمة الله كما؛ قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم قال: ﴿ .... هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ .... ﴾ النمل: ٤٠ بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في

الأرض فإن النعم الكبار تزيدهم أشرا وبطرا؛ وكما قال قارون – لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة؛ قال: ﴿ .... إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ .... ﴾ القصص: ٧٨ (السعدي،2000: 507)

وهذه القصة نجد أنها تحمل العديد من الدروس والعبر التي تتجاوز مجرد السرد التاريخي لشخصية عظيمة؛ فقد قدمت القصة نموذجا للقيادة الحكيمة المبنية على العدل والإحسان مع أهمية الإيمان بالله والانقياد له والتوكل عليه والتبرؤ من حول العبد وقوته إلى حول ربه وقوته، وتبرز أيضا كيف أن السلطة والمال لا تساوي شيئا دون قيم إنسانية تتمثل في الحكم بما أمر الله به والإحسان إلى الرعية ورعاية المظلومين، وترشدنا أيضا إلى ضرورة السعي لتحقيق الإصلاح في الأرض امتثالا لأمر الله تعالى ووفاء له حيث مكنك من رعاية حقوق العباد لتكون نموذجا يحتذى به لكل حاكم على مر العصور.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، نزل الكتاب على نبيه صلى الله عليه وسلم تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

وفي ختام حديثنا عن مقاصد القصص القرآني من منظور السعدي يتبين لنا أن قصص القرآن لا يحكى على وجه التسلية أو التأريخ فحسب_ كما هو حال سائر القصص، بل هو أحسن القصص وهو وسيلة تعليمية تحمل في طياتها مقاصد جليلة وعبرا نافعة تتناسب مع كل زمان ومكان فقد جاء كتاب ربنا ليعرض لنا من خلالها نماذج من خلقه تختلف في أحوالها ليتعلم المسلم من تصرفاتها ويهتدي بحسناتها ويتجنب سيئاتها كما يدعونا للتفكر والتدبر في عواقب الأعمال والأفكار.

النتائج:

– شمولية مقاصد القرآن: بينت الدراسة أن مقاصد القرآن تتنوع بشكل واسع لتشمل مختلف جوانب الحياة الإنسانية؛ العقيدة، والشريعة، والعبادة، والأخلاق، مما يعكس عظمة هذا الكتاب في توجيه الإنسان إلى الخير والصلاح.

– أهمية تفسير السعدي: ساهم السعدي في تقديم تفسير يسير وواضح للمقاصد القرآنية، مما جعل الفهم الدقيق لأهداف القرآن متاحًا للأفراد من مختلف المستويات العلمية.

– القصص القرآني كمصدر للتعليم الروحي: أبرزت الدراسة كيف أن القصص القرآني ليس مجرد سرد تاريخي، بل هو أداة تعليمية تربوية تهدف إلى نقل القيم والمبادئ التي تحقق السعادة في الدنيا والآخرة.

– أظهر السعدي عناية فائقة بمقاصد القصص القرآني، فربط القصص بالتوحيد والسلوك والعمل

– القصص القرآني من منظور السعدي يهدف إلى بناء شخصية المؤمن المتوكل العامل المصلح لنفسه والساعي لإصلاح غيري

– كما ركز السعدي في تفسيره لغالب قصص القرآن على بيان أنها موجهة لإحياء الإيمان، وبناء المجتمعات على أسس العدل والإصلاح.

– وضح السعدي _ كما في تفسير قصة ذو القرنين _ أن الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله من أهم المقاصد العملية التي يبينها القصص القرآني.

التوصيات:

1- العناية بدراسة المقاصد القرآنية عند المفسرين لما في ذلك من إحياء لفهم هادف للتوجيهات القرآنية

2- الربط بين مقاصد القرآن وواقع الأمة والاستفادة منها في النهوض بهذه الأمة مما حل بها، والله المستعان

3- التركيز على مقاصد القصص القرآني فهي أداة تعليمية ذات أهداف عميقة تتجاوز مجرد السرد التاريخي

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

– ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ،2005م ، مجموع الفتاوى، ت: أنور الباز، عامر الجزار.

– ابن عاشور، الطاهر، 1984م، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المشهور باسم: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر– تونس.

– ابن فارس، 2002، مقاييس اللغة ، ت: عبد السلام محمد هارون.

– ابن كثير، 1999، تفسير القرآن العظيم، ت: محمد حسين شمس الدين.

– الأطرش، رضوان، ونشوة عبده، 2011، الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي، مجلة الإسلام في آسيا ، العدد الخاص الأول.

– الجزائري، أبوبكر، 2003م، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير.

- الرازي، محمد بن عمر، 1420هـ. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير).
- ربيعة، محمد، 2019، المقاصد القرآنية، دراسة منهجية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السابع والعشرون.
- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
- السعدي، عبد الرحمن، 2000، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن اللويحق.
- السعدي، عبد الرحمن، 1422هـ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.
- الشعراوي، 1991، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
- الطبري، محمد بن جرير، 2000م، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
- القنوجي، 1992، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
- المختصر في تفسير القرآن الكريم، 1434هـ.
- النيسابوري، أبوعبدالله الحاكم ،1990، المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا.